بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 40 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:05\05\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

كنا قد توقفنا في البحث السابق عند كلمة السرور وفرقها عن كلمة الفرح، ونقلنا عن الأنصاري أنه ميّز بين السرور والفرح، بأن الفرح عبارة عن البهجة التي لا تكون خالصة، بل مشوبة بغم وهم ونكد وتمريس، بخلاف السرور.

واستشهد لذلك مع شراح كلامه بالآيتين اللتين استُعمل فيهما السرور لعالم الآخرة؛ لأن بهجة عالم الآخرة لا نكد فيها ولا هم ولا غم ولا حزن ولا أي شيء من هذا القبيل.

وفي قبال ذلك لاحظنا أن ابن القيم نقض على هذا التفريق ببعض الآيات التي استُعمل فيها الفرح في الآخرة والسرور في الدنيا. وناقشت في ذلك.

وصل المطلب إلى تحقيق هذا البحث: كلمة السرور في اللغة العربية باعتبار أخذها من السر والإسرار في مقابل الإعلان، وسر الشيء في أصل اللغة هو الشيء مشوب، فمن هذه الناحية يكون ما ذكره الأنصاري -في الواقع- يرجع إلى جذر الكلمة، ونلاحظ أن أئمة اللغة ذكروا في مقام تفسير السرور هذا المعنى، فقالوا: السر هو الشيء الخالص من الشيء. ولذا الإسرار أسره الأمر أي أو دعه عنده بحيث لا يشاركه فيه أحد، وإلا لا يبقى سراً.

كل علم ليس في القرطاس ضاع وكل سر جاوز الاثنين شاع

فمن ناحية جذر الكلمات يطلق على الشيء غير المشوب.

في كلمة الفرح نلاحظ أن أئمة اللغة ذكروا بأن الفرح هو خلاف الحزن، هو البهجة المخالفة للحزن. فيمكن حينئذ بمقتضى هذا الإطلاق اللغوي أن يطلق الفرح على الخالص وعلى المشوب، فلا مانع من

إطلاق الفرح على البهجة في الجنة، وعلى إطلاق الفرح على البهجة في الدنيا؛ لأنه لم يؤخذ فيها أن تكون مشوبة أو أن تكون خالصة. فالفرح من هذه الناحية يكون أعم.

بخلاف مادة السين والراء، ففي أصل اللغة معناه خالص الشيء. وعندما فسروا السر بهذا المعنى، قالوا: ومنه السرور؛ لأنه أمر خال عن الحزن. إذاً الجذر اللغوي يساعد ابتداء على ما ذكره الأنصاري.

لكن هذا لا يكفي، فلابد لنا أن نتتبع الاستعمالات القرآنية لهاتين الكلمتين.

من جملة الأشخاص الذين أدلوا بدلوهم في هذا المجال أبو هلال العسكري -كتابه في الفروق اللغوية متخصص في هذا المجال- فيقول الفرق بين السرور والفرح: "إن السرور لا يكون إلا بما هو نفع أو لذة على الحقيقة، وقد يكون الفرح بما ليس بنفع ولا لذة كفرح الصبي بالرقص والعدْو والسباحة وغير ذلك مما يتعبه ويؤذيه، ولا يسمى ذلك سرورا".

أيضاً أبو هلال العسكري يرى أن السرور أخص من الفرح، السرور لا يطلق إلا على ما هو لذة في الواقع، بينما الفرح أعم، قد يطلق على ما هو لذة في الواقع ويطلق على ما يتخيل أنه لذة.

لكن لابد لنا أن نتتبع الاستعمالات القرآن، كلمة الفرح مع مشتقاتها استعملت في القرآن الكريم في نيف وعشرين آية، لا نريد أن نستعرض كل الآيات، فنذكر بعض النماذج:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها﴾[1] هذا المورد في هذه الآية المباركة يصلح لعدم الواقعية، هي ليس لذة واقعية، أن يصاب الإنسان بسيئة وأفرح بها. ويصلح مع الشيء الآني؛ لأن هذا الفرح لن يستمر.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[2] استعمل الفرح في خارج الدنيا، ولم أقل ناظرة لعالم الآخرة؛ لأن هذه الآية ناظرة إلى عالم البزخ. فاستعمالها في هذا المورد مع الشهداء لا يناسب عدم

[1] آل عمران: 120
[2] آل عمران: 169 - 170

الواقعية، خلافاً لأبي هلال العسكري، ولا يناسب الآنية، بل النعم التي تعطى للشهداء هي نعم مستمرة إلى أبد الآبدين. فهذه الآية لا تناسب ما ذكره أبو هلال العسكري.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَ الَّذينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا﴾[3] هذه تناسب ما ذكره أبو هلال العسكري.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[4] هذه الآية تخالف ما ذكره أبو هلال العسكري.

إلى آخر الآيات الكثيرة الواردة في هذا المجال.

أما كلمة السرور فلم تستعمل بكثرة في القرآن الكريم، استعملت في موارد أقل من عدد أصابع اليد الواحدة.

الآية الأولى: قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النَّاظِرينَ﴾[5] هذه استعملت في أمر دنيوي، ولم تستعمل في عالم الآخرة.

الآية الثانية: وهي الآية التي نبحث عنها ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورا﴾.

الآية الثالثة: قوله تعالى ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُورا﴾[6] ناظرة إلى يوم القيامة.

الآية الرابعة: قوله تعالى ﴿وَيَصْلى سَعِيرا (12) إِنَّهُ كانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾[7] أي مسروراً في الدنيا.

بتتبع هذه الموارد مع ملاحظة الجذر اللغوي للكلمة، نصل إلى النتيجة التالية: أن السرور في الآيات التي استعمل فيها، يُستعمل في شيء يحصل عليه الإنسان بذاته، وإن لم يدرس في الخارج، وإن لم يشارك غيره بذلك. فهي مأخوذة من السر الأمر غير المشوب.

ولأجل ذلك قد يستعمل في الآخرة وقد يستعمل في الدنيا.

---

[3] آل عمران: 188
[4] يونس" 58
[5] البقرة: 69
[6] الانشقاق: 9
[7] الانشقاق: 12 - 13

أما الفرح وهذه البهجة التي تحصل في القلب، لكن ليس من الضرورة أن تكون خالصة. نعم قد يشرّب هذا الفرح في كون صاحبه أشراً بطراً، فيأتي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[8] لكن هذا شيء زائد على مدلول الكلمة الوضعي.

فالآية التي نبحث عنها ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ أي ما يرتبط بالجوارح الظاهرة ظهر عليهم النظارة وظهرت عليهم البهجة على قسمات وجوههم، وما يرتبط بالباطن فشعروا بتلك البهجة واستلذوا بتلك اللذة.

فالآية المباركة في مقام مجازاة هؤلاء الثلة أعطتهم أمرين، أمر ظاهري وهي النظرة، وأمر باطني يتناسب مع السر وهو البهجة التي في قلوبهم، التي يعبر عنها بالسرور.

[8] القصص: 76